نصيرة علاك / الصفحات: من 215 إلى: 231
الملتقى الدولي: التعدد المصطلحي في اللسانيات ومشكلات الترجمة-مخبر-اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات-جامعة الأغواط-2023/12/16م

# المصطلحُ النَّقدي اللساني العربي: مقاربَة تحَاقُليّة مَعرفية لبحث التعددية المصطلحية

***Arabic Critical Linguistic Terminology : An Interdisciplinary Approach debating Terminological Plurality***

د. نصيرة علاك
المركز الجامعي مرسلي عبد الله -تيبازة (الجزائر)
*alleklynda2@gmail.com*

تاريخ الإيداع: 2023/11/26 تاريخ القبول:2023/12/04 تاريخ النشر: 2023/12/20

**الملخص:**
إن العلاقات المتبادلة بين الدراسات اللغوية ومجال النقد الأدبي، اتخذت اتجاهين متضادين ظاهرياً وعلى المستوى المعرفي (بعيداً عن الأهداف الأيديولوجية). لكن، ضمنيا، تم دمج هذين الجانبين بشكل عفوي (وأحياناً بتنسيق مقصود) وفق خيارين: 1. لسانيات جاذبة للنقد؛ 2. حضور الممارسات النقدية التي أصبحت في متناول اللسانيين. وقد أدى هذا التدوير على هامش المسارين وفي متنهما. أيضاً. إلى ظهور نوع من المصطلحات النقدية (اللسانية) التي تقع على مفترق طرق التيارين، ولا غرابة في أن يتعرف الخبراء ـ وحتى عامة الناس ـ على المصادر اللغوية للمصطلح النقدي، ووصفه ـ للوهلة الأولى ـ بأنه نوع من تأثير اللسانيات الوثيق في بناء المصطلحات الخاصة بالنقد الأدبي. غير أن الوظيفة اللغوية والبلاغية والمعرفية للمصطلحات اللغوية النقدية المَعنيّة تقدم خصوصيات من المهم التأكيد على أهمها، خاصة وأنها سرعان ما بدأت تتولى أدوارا أكثر تعقيدا. يتحدث إدغار موران (Edgar Morin)، في سياق تطويره لمصطلح " الفكر المركَّب "، عن نقل الخصائص القابلة للتحويل بين مجالات المعرفة المختلفة والمتنوعة. من هنا إذن لاحظنا ـ في هذه المداخلة ـ أن المصطلحات اللسانية النقدية تشكل مظهرا من مظاهر الاحتكاك والتأثير والتفاعل بين المجالين اللذين نهتم بهما في هذا العرض. ومن ناحية أخرى، لا بد من التأكيد على أن النقد التطبيقي اتخذ موقفاً مشبوهاً من ظهور ما يسمى بالمصطلحات " النقدية واللسانية "، وأن فرع " نقد النقد " كان أحد الفروع الابستمولوجية التي تفطّنت لهذا الوضع المزدوج، وهو الذي شكل أحد الأطر التي شهدت تجلي اللغة الواصفة بأبعادها المختلفة: اللغوية (اللغوية)، والمعرفية (الأنطولوجية)، والتواصلية (السيميائية)، والاجتماعية (الثقافية). ولهذا السبب تناولنا هذين المجالين على وجه التحديد في ضوء الإشكالية التي تحاول هذه الورقة معالجتها والتي يمكن صياغتها على النحو الآتي: هل يمكن تفسير المزاوجة بين حقلي اللسانيات والنقد الأدبي على أنه من قبيل التحاقل الضروري ؟ وهل يمكن اعتباره ــ بالموازاة مع ذلك ــ نوعاً من زحزحة التطبيقات والتأملات والمقاربات من النهج السياقي إلى المنحى النسقي ؟ وماذا أعقب تغلغل المصطلح اللساني في عالم النقد الأدبي ؟ أم أن أصول هذا المصطلح الإشكالي كانت دائما أوسع وأعمق ومرجعياته أكثر وضوحا ؟ وذلك. ربما. نظراً لبروز فرضية اعتبار الأدب لغة أولا وقبل كل شيء.

الكلمات المفتاحية: المصطلح اللساني، المصطلح النقدي، التحاقلية، التعدُّدية المصطلحية، نقد النقد، اللغة الواصِفة، المحايثة، النقد النسقي، النقد السياقي، الفكر المركب.

***Abstract :***
***The mutual relationships, "established" between linguistic studies and the field of literary criticism, at the epistemological level (apart from ideological aims), have taken on the surface two opposite directions. But, internally, these two aspects were spontaneously integrated (and intentionally) coordinated), according to two options: 1. linguistics which attracts criticism; 2. critical practices that are within the reach of linguists. This fluctuation at the margins and at the center of the two paths has given rise to a type of critical terminology which***

***lies at the crossroads of the two currents and in which it is not surprising that experts - and even the general public - recognize sources linguistics, and to characterize it - at first sight - as a kind of influence of authenticated linguistics in the structuring of the terminology specific to literary criticism. However, the linguistic, rhetorical and cognitive function of said linguistic-critical terminology presents specificities of which it is important to underline the most important ones, especially since it quickly began to assume more complex roles. Edgar Morin, in the context of his development of the term "complex thinking", speaks of the transposition of transferable properties between fields of knowledge. Note, therefore, that critical linguistic terminology constitutes a manifestation of friction, influence and interaction between the two fields in which we are interested in this present presentation. On the other hand, it is important to emphasize that applied criticism had taken a suspicious position with regard to the emergence of the so-called "critical and linguistic" terminology, and that the branch of "criticism of criticism" has was one of the frameworks which saw the manifestation of descriptive language (metalanguage) in its different dimensions: linguistic (linguistic), cognitive (ontological), communicative (semiotic), social (cultural). This is why we have treated these two areas specifically in the light of the problem that this communication attempts to address, which can be formulated as follows: is it simply the displacement of applications, reflections and approaches from the he contextual approach to the systematic approach which followed the infiltration of the linguistic term into the world of literary criticism? Or have the origins of this problematic term always been broader, deeper and its references more manifest ? This is - perhaps - due to the emergence of the hypothesis that literature is considered a language first and foremost.***
***Keywords: Linguistic terminology, Critical terminology, Interdisciplinarity, Terminological plurality, Criticism of criticism, Descriptive language, Immanence, Systematic criticism, Contextual criticism, Complex thought.***

## مقدمة

لقد اتّجهت العلاقات المتنوعة والمتبادَلة . والتي تمّ بناؤها استشرافياً . بين مباحث اللسانيات ومجال النقد الأدبي على صعيدَيْه التطبيقي والابستمولوجي (بعيداً عن الإيديولوجيا)، في اتِّجاهين متعاكِسين في الظاهر، لكنهما . باطنياً . متكاملان تكاملاً عفوياً (وتنسيقياً مقصوداً أيضاً)؛ هما: استقطاب اللسانيات للنقاد، واستقدام الممارسات النقدية لاهتمام اللسانيين. إنّ هذه المراوحة على هامش ومركز المسارَين أسفر مخاضُها عن ضربٍ من المصطلح النقدي الذي يقع في ملتقى طرق الاتجاهين والذي ليس مِن العجيب بالنسبة للخبراء . وحتى عامة الناس . التعرُّف على مصادره اللسانية، وأن يتوسّموا فيه . مِن الوهلة الأولى . نوعاً من التأثُّر بالدرس اللساني (الوافد والأصيل في آن).

بيد أن لاشتغال هذا المصطلح النقدي (اللساني) لغوياً وخطابياً ومعرفياً، خصوصياتٍ يهمّ الوقوف عند أهمّها ولاسيما أنّه سرعان ما أخذ يتقمّص أوضاعاً تستوي من حيث الدرجة على مستويات أعقد وأمكن وأمعن في التركيب (والتهجين) الذي نفضِّل أن يؤخَذ هنا بالمفهوم الذي قصده إدغار موران (Edgar Morin) في سياق إطلاقه لمصطلح " الفكر المركب "، إلى حدٍّ قد يتمّ فيه تجاهل ذلك الطابع اللساني نظرا للتداول عليه بكثرة وبأشكال تصبح مقاربتُها لا تقل أهمية فيما يخصّ موضوع ورقتنا التي تُراجع . بهذه المناسبة . عوامل التلاقي الحميمي بين اللسانيات والنقد الأدبي، وتُعنى بسليط الضوء على نتائج ذلك التلاقح، علماً أنّ المصطلح النقدي اللساني يشكِّل مظهراً من مظاهر الاحتكاك والتأثير والتأثر بين المجالين.

ولما كان النقد التطبيقي مفاعلاً خطيراً لانبثاق المصطلح النقدي اللساني وحينما كان فرع " نقد النقد " أحد الأطر التي شهدت تجلي اللغة الواصفة (Métalangage) في أبعادها المختلفة اللغوية (اللسانية) والمعرفية (الأنطولوجية) والتواصلية (السيميائية) والاجتماعية (الثقافية) ..الخ، فقد اعتنينا بهما خصيصاً في ضوء الإشكالية التي تحاول هذه الورقة أن تعالجها، وهي التي يمكن صياغتها كالآتي: هل مجرد تحوّل التطبيقات والتأملات وكذا المناهج مِن المنحى السياقي إلى النسقية هو ما أعقب تسلُّل المصطلح اللساني إلى عالم النقد الأدبي ؟ أم أنّ خلفيات هذا المصطلح الإشكالي كانت دائماً أفسح وأصوله ضاربة في الأعماق ومرجعياته أوفر حظاً ؟ فلن يزداد حينئذٍ إلاّ توقُّداً وشدّةً وتوهُّجاً لكونه صاحب حقٍّ تاريخيٍّ، إذ يَرجع معظمُ هذه الأخيرة إلى عهود كلٍّ من النقد اللغوي القديم والنقد البلاغي المتعاقِب . وليس فقط إلى عقود الشعرية " المستشرية " حديثاً (مع أن حتى هذه الأخيرة يعود نصيبٌ منها إلى تقاليد أرسطو ومقولاته النقدية المنطقية واللغوية والمَوجودية المرجِعية). وبالتالي، في آخر المطاف: هل كان ولوج المصطلح اللساني عالم الأعمال الإبداعية (الفنية

اللغوية أساساً) واضطلاعه بالوظيفة النقدية بإيعاز مكانته اللغوية التي تشكِّل عصب الخطاب الإبداعي المستهدَف ؟ وهل كان ذلك حدثاً دينامياً بشيراً أم مصيراً بائساً استحالت بسببه موضوعات النقد إلى معالجات لغوية لسانية مصطلحية (صريحة أو ضمنية) صميمية كانت أم هامشية، بحيث لا تحتمل ذَرَّةً من التفكير النقدي الميسور عمليا، وذلك بحُجَّة العلومية ؟ تتعرض مداخلتنا لمجموع هذه القضايا العوامل والنواتج بالتحليل والتفسير العلمِيَيْن ونرتئي استئناف هذه الأسئلة في غضون القراءة الفكرية التي نقترحها في ورقتنا على الحضور الكريم.

## 1 توطين المصطلح اللساني

### 1.1 من اللفظ إلى النسق

في غياب علم مستقلٍ يعنى بالمصطلح النقدي، تُحيل نظرية المصطلح النقدي على الكيفيات التي يشتغل بها المصطلح النقدي بوصفه يشير إلى تلك التسميات اللغوية التي يتم توظيفها في الخطاب النقدي لوصف المفاهيم النقدية وصفا فنيا (تقنيا)، إن لم نقل وصفا علميا فيه من النظرية والمنهج نصيبٌ كبير جداً. ولما كانت النظريّة الأدبيّة « عبارة عن تقنين لاتّجاهات وتياراتٍ أدبية وفنيّة وثقافية وفكرية واجتماعيّة وسياسيّة وحضاريّة، سيطرت على مرحلة من المراحل التي يمرُّ بها المجتمع في حركته التي لا تتوقّف أبدا »[1]، ولما أمكن اعتبار المصطلح النقدي عنوانا لفظيا وشعارا تعبيريا لهذه النظرية؛ صحَّ تسوية هذا الأخير بديلا نأي على أنه يمثِّل قالبا أو نموذجا وصفيا (فكريا وثقافيا) (بَرَدَايم / Paradigm) في الخطاب النقدي ذي المرجعيات والخلفيات المختلفة والذي يتصدى لوضع شروح وتعاليق وتفاسير على أية نظرية أدبية.

يحيل المصطلح النقدي على تلك التسميات اللغوية التي يتم توظيفها في الخطاب النقدي لوصف المفاهيم النقدية وصفا فنيا (تقنيا)، إن لم نقل وصفا علميا فيه من النظرية والمنهج نصيبٌ كبير جداً. ولما كانت النظريّة الأدبيّة « عبارة عن تقنين لاتّجاهات وتياراتٍ أدبية وفنيّة وثقافية وفكرية واجتماعيّة وسياسيّة وحضاريّة، سيطرت على مرحلة من المراحل التي يمرُّ بها المجتمع في حركته التي لا تتوقّف أبدا »[2]، ولما أمكن اعتبار المصطلح النقدي عنوانا لفظيا وشعارا تعبيريا لهذه النظرية؛ صحَّ تسوية هذا الأخير بديلا نأي على أنه يمثِّل قالبا أو نموذجا وصفيا (فكريا وثقافيا) (بَرَدَايم / Paradigm) في الخطاب النقدي ذي المرجعيات والخلفيات المختلفة والذي يتصدى لوضع شروح وتعاليق وتفاسير على أية نظرية أدبية.

ولكي نفهم طبيعة المصطلح النقدي علينا بالنظر إلى الميدان الذي يحيل عليه وإلى طبيعة اللغة التي يصاغ منها، من حيث انتماؤها القومي (النسب والفصيلة اللغوية، ومن حيث صُنافتها ضمن الخطابات (هل هي لغة أدبية / علمية / تعليمية / عادية ..الخ ؟). هذا، ولا ننسى أنّ المصطلح يعدّ وحدةً لغوية وصفيّة، لأنها تنتمي إلى اللغة الواصفة. وتظهر حصافة هذه الأخيرة ضمن بنية التعريف الذي يسند إلى المدخل المعجمي أو المصطلحي، في قيامه على القيود التعريفية المتعلقة بالمعلومات اللغوية الخاصة بالمفهوم المعالج والمقدم في مادة المدخل. ثم إنه وحدة تصنيفية، ذلك أنّ المصطلح بما ينطوي عليه في شقِّه المفهومي، هو كما الثقافة يدخل في علاقات مع كلٍّ من: الفرد والمجتمع والاثنية والحضارة. فهذه مقولات تصنيفيّة لا بدّ أن يرزح تحتها المفهوم. وكذلك هو وحدة معرفيّة تداولية اختزالية. علماً أنّ سِمة " الاختزال " لا تتعارض مع الدقة والسعة والإحاطة التي يتصف بها المصطلح. وأهم ما يجعل المصطلح النقدي يندمج في النسقية ذات الأبعاد المتعددة، هو انتماؤه إلى عوالم شتى، منها الميدان اللساني. ذلك أنّ والنسقية تفرض الامتثال والاقتداء والاحتكام إلى النموذج الفكري المساق والمعمول به، يركز فيه على ما هو مطرد، نذكر في هذا السياق أن الاطراد لغة يعني التتابع، « وطَّرَد الأمرُ اطِّراداً تبع بعضه بعضا »[3]. وندرك أهمية هذا الانتماء حينما نعود إلى اجتراح بعضاً من قيوده التعريفية استئنافاً للتعريف السابق، حيث نُلفي أنه وحدة بِنوية التّكوين، نَسَقية الاشتِغال، ذات مرجعية علميّة سياقية ثقافية محدَّدة. وقد ورد في لسان العرب مقترنا بالاستقامة والتتابع والاستمرارية والتجانس (كما سيلان الماء): « واطَّرَدَ الأَمرُ استقامَ واطَّرَدَتِ الأَشياءُ إِذا تَبِعَ بعضُها بعضاً واطَّرَدَ الكلامُ إِذا تتابَع واطَّرَدَ الماءُ إِذا تتابَع سَيَلانُه »[4].

وفي حالة ما إذا قصدنا التنقيب في أغوار هذا التحديد الدقيق العميق في آن؛ سنخرج بحصيلة مفادُها أنّ لهذه الوحدة الدراسية الوظيفية تواجداً اعتباريا اختباريا، يقع تحصيله في قالب نصيّ أو خطابيّ (مدونة)؛ وحضورًا ضمنيًّا يتمّ تفعيله تواصُليا. نحتفظ، بالنسبة للمعطى الأخير، على سمة مباشرة؛ وهي التفاعل الذي ينجم عن العلاقات التواصلية. ويعتبر وضع المصطلح على محور التواصل غرضا مستهدفا.

إن هذه النسقية متعددة الأبعاد، تأخذ أشكالا عديدة بحسب العلاقات التي تنتظم وحداتها. ومن هذه الأخيرة، نذكر علاقة الاحتواء التي تجري على كل من المصطلح النقدي والمصطلح الأدبي والمصطلح اللساني، وهي التي يهم شرها أولاً. في بدايات التأليف المعجمي اهتم بعض النقاد في إطار هذا الأخير بما اصطلح عليه عندهم بـ(المصطلح الأدبي)، وبعد ذلك صار الأمر إلى المصطلح النقدي، مع فارق يجب ذكره وهو أن المصطلح النقدي أوسع من المصطلح الأدبي، ذلك أن هذا الأخير كان محصورا في الجانب النقدي الأدبي بينما يمتد المصطلح النقدي من وجهة نظر ابستمولوجية إلى معارف كثيرة، وذلك على إثر نهوض دراسات مصطلحية في إطار المصطلحيات التي هي مجال مستقل نوعا ما وأصبح له نفوذ ونشاط ذو صلة بالأبستمولوجيا من جهة، وبالتخصصات المتنوعة من جهة أخرى.

إنّ النسقية التي يكفلها المصطلح اللساني ترجع إلى ما يقوم عليه مِن التبعية للنسق اللغوي اللساني. بيد أن المصطلح النقدي تابع لأنساقٍ ذات إحداثياتٍ تقديرية أشمل، هي من القبيل المعرفي والأنطولوجي، طالما أسهمت في إفرازه واستلهمت عددا كبيرا من الباحثين الذين استأثرت باهتماماتهم على الرغم من أنّ بعضهم وفدوا إليه مِن آفاق وأرجاء مختلفة. هذا بالذات ما يجعل النظر في كيفية اشتغاله في هذه الأنساق شغلاً يتطلب تدخّل أكثر من اختصاص بالإضافة إلى اللسانيات التي تعنى بمعالجة النسق اللغوي بدقة التشخيص وجدية التحليل، بدءًا من اللغة التي يتكرس هذا النمط من المصطلح (التقني الفني الفكري) من خلال تلك النسقية. وفي عالَمها. تسميةً ودلالةً (مفهوما) وعملاً وتاريخا (تأثيلا). كما تعد الثقافة أحد الأنساق الجوهرية التي تستمد منه نسقية المصطلح النقدي أصالتها. وكذلك تعتبر مؤسسة الترجمة مورداً يغرف منه النقاد أصول المفاهيم النقدية وفروعها التي تفرضها المثاقفة النقدية بامتياز. وفي هذا السياق، يرى سعيد بوعيطة أنّ اعتبار اللسانيات « من أكثر الحقول المعرفية التي ارتبطت بها إشكالية المصطلح، لتشعُّبها من جهة ولارتباطها بمختلف الحقول المعرفية الأخرى، على رأسها النقد العربي، يقول محمد رشاد الحمزاوي: " وتزداد القضية تشعباً عندما ننظر إلى الأساليب الفنية التي ترجمت بها هذه المصطلحات. ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى أن كل الترجمات لا تعي فنياتها وعياً علمياً مركزاً »[5].

ونظراً لهذا التعقيد الذي عرفته الأنساق التي ينتمي إليها المصطلح النقدي، بما فيها نسق المصطلح اللساني، فإن التحديد التبسيطي أصبح الحل أمام هذا التهويل. غير أنّ مسألة التحديد صار هاجساً وهوساً هو الآخر سرعان ما استحال إلى حقيقة أحيطت بهالة أخرى من التنظير على غرار ما قام به بعض الفلاسفة الذين عنوا بالخطاب العلمي كما فعل الفيلسوف الفرنسي جان هيبوليت (1907. 1968) Jean Hyppolite الذي راق له أن يرى الأمور من هذا المسبار: « كلُنا يعلَم ما تنطوي عليه اللغة الطبيعية التي نتكلّمها مِن التباس وعدم تحديد، لذلك فإنّ الناس دأبوا باستمرار على درأ هذا الفساد. وقد أدّى بهم التفكير في اللغة إلى تصور لغة أكثر نقاء. وليست الرياضيات شيئاً آخر غير هذا. يتعلّق الأمرُ بوضع علامات يكون جميعها وحيدة المعنى، وترتبِط وفقَ علائقَ تخضع لقواعدَ مضبوطة. وهكذا فبإمكاننا بناء لغاتٍ صناعيةٍ مثلما تبني الرياضيات منظوماتها الصورية »[6]. كما أن هناك من يقترح سلوك سبيل توحيد الصفوف، كما في هذا المقتبَس: « إنّ الشكوى من " إشكالية المصطلح " ستظل ما دام المعجم النقدي الحديث بعيداً عن التحقيق، وسيظلّ الأدباء والنقاد والمؤلّفون والمترجمون في نقاش لا يوصل إلى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية »[7].

### 2.1 تطويع المصطلح اللساني نقدياً

إذا كان المصطلح النقدي قد وجد مورده الأول في البلاغة منذ العصور القديمة (ولاسيما من القرن الثاني الهجري إلى غاية القرن الخامس الهجري حيث نضج درسُها مع عبد القاهر الجرجاني)، فسبب ذلك هو القرابة اللغوية التي انعقدَت بينهما كما هو الحال اليوم

مع اللسانيات. وقد سبق لأحمد مطلوب أن نوّه بفضل البلاغة كمورد لنحت المصطلحات النقدية ورصدها، قائلاً: « ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان منها [..] كتب البلاغة والنقد وهي كثيرة »[8]. وليست هذه العلاقة المتوارِثة من محض الصدفة، بل إن النقد هو الذي يضع نفسه دائما في محلٍّ مع كل الفروع المعرفية والعلمية التي تعنى باللغة، ويهتمّ بتفعيل شروطه ومعاييره، بدءاً من الفلسفة والمنطق، وتحليل الخطاب، ونظرية التلفُّظ (أو التلفيظ)، التداوليات والحجاجيات، حتى فروعه الداخلية كالسرديات والسيمائيات .. الخ؛ أي أن النقاد ينتقلون إلى هذه الميادين من أجل التشبُّع منها معرفيا ومنهجيا إجرائيا ولغة أي مصطلحيا. إن المفاهيم المشتركة بين هذه الفروع اللغوية وغير اللغوية تساعد كثيراً على صياغة المصطلح اللساني إلى حدّ أنّ عزله عزلا لا يمكن إلا بمسوّغ الدراسة. طبعا لا يفوتنا أنّ عناصر البنية اللغوية بصرف النظر عن كونها جامعة للنظرات التي تبديها كل زاويةٍ تحت لواء تضافر الرؤى، التضافر الذي لا يعدم حدوث شيء من التصادم ولا سيما باسم ثنائية (حداثة والتراث). نقول " تصادم " لأنّ القضية الجوهرية تتقدَّم عادةً على أنها بمثابة نقل موضوعات من مجال إلى آخر، وكذلك حدَث التزاوج بين البلاغة والنحو لمقاربة الدلالة، ولاسيما مع تكريس عبد القاهر الجرجاني لهذا المنحى في ما سمي بـ(نظرية النّظم) التي شدَّ ما سخّرها النقد الأدبي كما فعل رواد علم الدلالة الذي هو فرع من اللسانيات. وكذلك لا ننسى إسهام النقد البلاغي في ترسيخ فكرة التجنيس، أي نظرية الأجناس الأدبية التي تؤكِّد أواصر القرابة، من جهة، بين البلاغة والنقد؛ ومن جهة أخرى بين النقد والمنطق وكل ما يتعلق بالخطاب كما حدّده أرسطو.

يُسهِم البعد اللغوي في تكريس المصطلح النقدي تواصليا إذ لا يكتفي بتأدية وظيفة تمثيل المفهوم في المدونات الخطابية والنصية بقدر ما يسمح لواضعيه أن يتداولوه من منطلق استهدافه لجمهورٍ من المتلقين الذين يحملون ملامح معيَّنة. لذلك يهم دراسته من حيث الوصف اللساني وصفا آنيا ووصفا تاريخيا (إذا أمكن .لضرورات ربطه بالتراث كبراديغم ابستمولوجي هام)، أي بتحليله إلى العناصر التي يتشكل منها والنظر إليه على أنه يشكل جزءا من الكل الذي يعد نسقه الشمولي الجوهري، أي مع ضرورة الأخذ بالشمولية التي يُفترض أن يتحلّى بها نسق المصطلح النقدي.

هذا، مع العلم أن ادّعاء الشمولية لا تتعارض مع شرط تحديد العناصر التكوينية التي تتسبّب في حصولها وحلولها. مع العلم أن هذه العناصر ترتبط بالأقطاب التي تتدخّل في تشكيل ذلك المصطلح. ولحلّ هذا التعقيد يؤخَذ كثيرا بالبعد التواصلي الذي يتّسم به الخطاب النقدي بقوة وهو ما سندعوه هنا بالدور الخطابي للمؤوِّلين المنتجين له وباعتبار المتلقّين. كما تتطلب وظيفيته العناية بالنظر في كيفية اشتغاله (Fonctionnement) ضمن تلك المدونات المشار إليها آنفاً. وهذا لا يعني أن المصطلح النقدي يبقى حبيس هذه المدونات، وإنما من الضروري أن تُعقِب الدراسة الوصفية مرحلة تعجيم المصطلح النقدي في إثر استقباله واستقرائه واستقصائها في تلك المدونات (الأصلية والترجمية).

وخضوع المصطلح النقدي للدراسة العلمية ممكن جدا نظرا لقابليته وطواعيته للعزل، أي لاستخراجه من النصوص التي يكون قد نشأ فيها باعتباره يدل على المفاهيم النقدية التي تكون قد ظهرت مع تطور الفكر النقدي ونضجه، ومن أجل النظر في كيفية ذلك التمثيل المحال عليه أعلاه. إن الطابع اللغوي الذي يتحلّى به المصطلح النقدي من شأنه أن يكرِّس إمكانية تناقله عن طريق التعليم والتكوين وبوساطة الإعلام المختلف الأنماط والقنوات. ذلك أنّه يتم التواصل به بين الأخصائيين وبين هؤلاء والمتلقين بمختلف مستوياتهم. لهذا فهو يتسم بالطابع الاختزالي. غير أنّ سِمة " الاختزال " لا تتعارض مع الدقة والسعة والإحاطة التي يتصف بها المصطلح. ولا تتناقض مع خاصية الحجاج الذي يتصف به الخطاب النقدي الناقل للمصطلح النقدي.

ولما كان هذا المصطلح في واقعه العربي يتميز بالطابع الازدواجي الترجمي اللغوي " الثقافي " . إن لم نقل التعددي اللغوي . فقد كان لزاما على المشتغلين على قضايا المصطلح النقدي أن يكونوا على وعي بكافة الإشكاليات التي يطرحها هذا البعد. من هنا فلا جرمَ أن لبعد المصطلح النقدي التواصلي مع هذا الواقع، علاقة وطيدة بالتحليل الدلالي السيميائي للمصطلح، الذي يتم التعرض في إطاره إلى علاقات المصطلح النقدي في نسخته العربية إما بالتراث (تاريخيا) أو بالمصطلح الأجنبي الذي ينسخ بحروف اللغات التي شهدت ميلاده فيها. هذا،

مع العلم أنّ معظم الكتابات النقدية (النظرية والتطبيقية) أصبحت توفيقية وتلفيقية بخصوص تحقيق مبدأ المحايثة اللسانية المستفحل في مقام الشعارات وحسب، وهي أقرب ما تكون إلى تلكم اللغة الواصِفة التي تطرَح بدورها عدّة تساؤلات، إن لم نقل العديد مِن الصعوبات والمآزق؛ وتعرِض أكثر مِن فرصة لمجانبة القضايا النقدية والأدبية الجوهرية، لحساب ما تستدعيه (هذه اللغة المُزاحِمة) من إعمال التأمل (الانعكاسي الذاتي) وما يعرِض عليها من المعالجات (المصطلحية)؛ ولاسيما في أطار نشاط نقد النقد الذي يقتضي منهجه باسم تحرّي للدقة والشمولية السعي إلى تحقيق هدف مزدوج يتمثّل في وصف لغة الناقد (اللغة الواصفة) اللغة الموصوفة الخاصة بلغة الموضوع، وذلك من خلال متابعة المصطلح وتحليله تفكيكيا وتركيبيا، تمكيناً لمواصلة عملية تحليل الخطاب النقدي في علاقة تقاطعية بين امتدادات المصطلح في ذاته، من حيث عناصره المكونة له، وحقله الذي أنتجه، وامتداداته في خطاب نقد النقد الذي يشتغل فيه. هكذا « فإنّ التعامل العمودي والخطي مع المصطلح في خطاب نقد النقد من شأنه أن يخلق وعياً بالمصطلح وباللغة الواصفة عامة »[9]. بيد أنه، وبخصوص الإشارة إلى هذه الأخيرة، أصبحت معظم الكتابات النقدية بمثابة لغة واصفة للمصطلحات التي أشكلت على الكتاب قَبل المتلقين العاديين. هذا الوضع أفرز مظاهر على مستوى المدونات النقدية يسودها في الغالب وفرة المقبلين على وضع المصطلحات أو تقديم بدائل مصطلحية، بل بلغ الأمر ببعضهم إلى حد تفريغ كلمات من دلالاتها القديمة لإعادة تعريفها من جديد. إن هذا الوضع صحي ومرضي في آن. ذلك أنه أدى إلى العدول عن طرق المعضلات الأدبية والنقدية الخطيرة لحساب ما يمكن أن يطلَق عليه (المعالجات المصطلحية " الهامشية ").

بَيْدَ أنّ الإفراط في تطويع المصطلح اللساني نقدياً، غالباً ما يُعقّد الأمور وذلك حينما يُعقِب العناية بهذا الأخير عن طريق تخصيصه بمعالجات مصطلحية يزجُّ بها في صميم المتن أو ترد على الهامش. ومن نتائج المبالغة في هذا الإجراء الذي هو . مع ذلك . أمرٌ شرعيٌّ ما دام يستجيب لحاجة شرعية ما يعتري النصوص النقدية مِن حشوٍ يطال جهازها المصطلحيّ، وهو إكثارٌ من شأنه أن يستتبع تعقيدًا في نظامها المفاهيمي. وهو ما يحمل الناقد على أن يختفي خلف قناع المدقق المصطلحي بل يلتبس بدور اللساني وهو يُمعِن في بحث اللّغة الواصِفة المنصبّة على وصف اللّغة النقدية من منظور خطابه النقدي الواصِف الذي يُكرَّس بوصفه مدعَّماً بعلم موضوعي هو اللِّسانيات التي طالماً نُعِتت بأنها العلم الربان (Science pilote) وإذا أخذ أولئك يتحدّثون باسم اللِّسانيات بخطابهم ذاك، فإنّ الجمهور (العربي) سيأخذ عن الدارسين النقاد (العرب) علماً تستحوذ عليه آيات التسطيح والتمييع والتعميم. ولا ننسى أن الشيوع السريع والمفرِط الذي عرفته المصطلحات اللِّسانيّة لم يشكل علامة صحية، في الوقت الذي تعطي الوهمَ أنّ اللِّسانيات تتمتّع بصحّة عالية، لكن هذه الحالة لا تتماشى وواقِع مفاهيمها المتأزّمة، وهي من جهة أخرى تغذي الجدل السطحي (ما دام وقِعاً على مستوى التسميات فحسب)، فهي لا تجذب الاهتمام الجادّ ولا تذهب به كليّة،« وبهذا، يقف المصطلح في فضاء لساني وسيميائي ودلالي قريب إلى حد كبير من الفضاء الذي تقف فيه كل فروع ما تسمى بالنظرية الواصفة أو الانعكاسية أو الميتا – نظرية Meta-Theory حيث نجد استقصاء نظريا في حقل نظري آخر، وهو ما يخلق مستوى أعلى من مستويات التدليل والترميز، يختلف عن المستوى المعروف لشفرات اللغة الاعتيادية، ليغدو لغة ثانية. وبناء على ذلك يمكن النظر الى المصطلح بوصفه دالا أو علامة من نوع خاص يمكن أن نسميه بالدال الاصطلاحي (أو العلامة الاصطلاحية) وهو بهذا شبيه بالدال الأسطوري أو العلامة الأسطورية ضمن نسق سيميائي من الدرجة الثانية، يمارس تأثيره الدلالي على مستوى المعنى الايمائي الحاف وليس على مستوى المعنى الذاتي القار أو الثابت. وكما يرى رولان بارت فان المعنى الايحائي، في مثل هذا النسق، يمثل نوعا من الانتقال من المعنى الدلالي أو الاشاري إلى معنى دلالي جديد آخر. فالمعنى الايمائي يتم عندما تصبح العلامة المتكونة من العلاقة بين الدال والمدلول دالا لمدلول أبعد »[10].

وقد عرف الغرب مثل هذا الالتواء الذي أدّى بجورج مونان (1910 . 1993) Georges Mounin إلى أن يقف موقِفًا حذرًا إزاء كتابات رولان بارط (1915 . 1980) Roland Barthes التي هي . على حدّ تعبير أحد منتقديه . إنّما تصلح أكثر كيومياتٍ (Chroniques) تقوم مجلاّت الموضة بنشرها، بل سبق لها أن قامت بذلك[11]، والذي يبدو أنّه يسخِّر مفاهيم لسانيّة كانت عنده لا تزال تتعدّد تعدّدًا سافِرًا، إذ يجده جورج مونان كثيرَ الاستعمال لمفاهيم لم يستوعبها كما ينبغي، وذلك نظرًا لكونه يجمع بين مرجعياتٍ نظريّة متنوّعة كالفلسفة وعلم

النفس وعلم الاجتماع واللّسانيات والسيميائيات والنقد الأدبيّ والإناسة[12]، ويرى أنّه لا يمكن تناوله علميًّا؛ لعلّه يريد أن يقول إنّه يتعذّر معه وضع مقاييس علميّة تتحدّد وفقها صحيح الأحكام النقديّة مِن باطِلها، تلك الأحكام التي كان رولان بارط يطلِقها بحريّة جريئة؛ ويواصل جورج مونان هكذا تحامله على مَن كان من وراء ترويج لما يطلق عليه بـ (النقد الجديد)، بالقول إنّه ينتقل من مجال إلى آخر لا بدافع استسلامه لتعدّديّة الاختصاصات . لأنّ ذلك التنوّع النظريّ هو كلّ شيء ما عدا ما يمكن أن يسمّى الطابع التداخلي للاختصاصات[13] (Interdisciplinarité) ويعزى إليه . بقدر ما ينمّ عن خيبة أمل تصيب كلّ من لم يسعفه الحظّ أن يمارس الكتابة الإبداعيّة، لهذا كلِّه غلب على كتاباته النقديّة حشوٌ في جهازها المصطلحيّ أتبع تعقيدًا في نظامها المفاهيمي.

وكذلك تتجلّى المعالجة اللسانية للمصطلح النقدي في الكشوف التشخيصية التي يقدِّمها بعضُ الخبراء مِن أمثال عبد الواحد لؤلؤة الذي يفسِّر الطابع غير النهائي الذي يعتري المصطلحات النقدية العربية في صيغتها الاجتهادية الأوَّلية، وهو يعلِّل الأمر بقوله: « ولأنّ هذه المصطلحات النقدية تعتمِد مفهوماتٍ أوربية ترجع إلى حضارة الإغريق والرومان وما نشأ من آداب أوربية منذ عصر النهضة فإنّ ترجمتها إلى العربية لا يمكن أن تتّخِذ صيغة نهائية تقف عندها، كما وقفت في الغالِب الصيغ الأوربية المشتقة من الأوربية واللاّتينية. لذلك لا مفرَّ مِن الاشتقاق والنّحت والتعريب، إلى جانب الترجمة، وهنا يتدخّل الحسّ اللغوي والذوق الفردي والمعرفة باللغات، إضافةً إلى ثقافة المترجِم، عندَ القيام بعملٍ مثل هذا [ موسوعة المصطلح النقدي ] »[14].

ولاسيما أنّ تلك الأصول تحيل على حضارات عريقة وثقافات شهد لها التاريخ بالريادة في مضمار الفلسفة والآداب ونقودها المختلفة، ما يجعل المترجم يأخذ في عمله بثنائية أو عُملة (اللغة والثقافة)، ولا يستطيع أن يقدِّم أيَّ اجتهادٍ خارج دائرة ثنائية أخرى هي (الفكر والواقع): الفكر الذي تصدر منه المفاهيم والواقع الذي تحيل عليه المصطلحات. مع أن هناك من يعترض على طريقة تطعيم مجال النقد بالمصادر الغربية في روحها وحرفها بالنظر إلى عواقبها الوخيمة، على غرار هذا التنديد: « يتم وضع ألفاظ عربية انطلاقاً من مصطلحات أجنبية هي في معظمها تأتينا اليوم مسبوكة في لغاتٍ منحدرة جميعاً من فصيلة غير الفصيلة التي ينتمي إليها اللسان العربي، ولهذا الاختلاف في النَّسب آثارٌ بيِّنة في قضية المصطلح وآليات صياغته »[15].

وهناك من يحدّد الآلية التي يدعو إلى التحفُّظ فيها ونبذها في بعض المواقف، ويعيّن السبب في ذلك، كما في هذا المقتبس الذي يشخص فيه صاحباه . وهما عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو . أحد العيوب التي تقع فيه الترجمات العربية ولاسيما في ميدان النقد الأدبي، وهو ما أسمياه بـ (انقطاع السلسلة في العائلة الاصطلاحية الواحدة):

« ومما يندرج في هذا الباب أنك تقرأ مثلاً ترجمة للمصطلح " علامي " في نفس الوقت الذي تقرأ فيه وعند الكاتب نفسه ترجمة المصطلح « Sémioticien » بـ " سيميائية " [..] وتأتي ترجمة المصطلح « Sémiotique » المركب لتضيف مشكلة أخرى تفضي إلى عيوبٍ أخرى في الترجمة العربية. ولقد برزت هذه المشكلة على وجهين: فأما الأول فهو يتكشّف في ترجمة مصطلحات من أمثال « Métavariable » و« Métascientifique » بمنحوتات تدمج اللاصقة اليونانية « Préfixe » بالمفردة العربية، مما يعطي " ميتا متغير " و" ميتا علمي ". وإذا كنا نرفض مثل هذه المنحوتات، فلأنها لا تفي بغرض الترجمة فضلاً عن أنها تُجبر القارئ على العودة إلى اللغة الأجنبية من أجل استيعاب ما يقرأ »[16].

وفي السياق ذاته، يوضح الباحثان أنهما . بطبيعة الحال . لا يدعوان إلى القطيعة مع اللغات الأخرى، ولا يستبعدان أهمية اللجوء إلى النحت ولكنهما يلحان على أن يؤدي المنحوت غرضه، وأن ينقل الدلالة إلى العربية دونما حاجة إلى الاستعانة باللغة الأجنبية. ذلك أنّه لما كان الأدب شديد الارتباط بالمجتمع، فإن النقاد اهتموا بالمصطلح متحاً واجتراحاً وصياغةً بحسب ما يدلي به عبد السلام المسدي: « [..] فالمدح والنسيب والمقامة والموشح والوقوف على الأطلال، كلها من المفاهيم المتقيدة بالخصوصية العربية، تماما كتلك التي ترتبط بخصوصيات الأمم الأخرى إذا تحدثنا عن الدراما والتراجيديا والأوبريت وغير ذلك »[17]. هكذا، فالمقصد الجوهري للمسدي هو التدليل على أنّ المصطلح النقدي يخضع لخصوصيات ثقافية لا تستبعد بعض الإمكانات التي تهدد بالسقوط في شَرَك التقليد والذوبان في الآخر.

وهذا الهاجِس التفسيري الراصد للاستعمالات المصطلحية في ميدان النقد، طالما دعا إلى مَنْهَجَة تحليل الخطاب النقدي الذي يراد أن يتمّ مِن قبل الدرس الابستمولوجي على الخصوص لكون الاهتمام المصطلحي أحد مباحثه. وهو ما يرمي إلى إيجاد تفسير للاستعمالات المصطلحيّة كما يهدف إلى قيد بعض الاستعمالات من حيث التعرّف على المستعملين الواضِعين لها. يصدق هذا على ما نُلفيه في الكتابات التي تندرج في نقد النقد أو في " النقد التطبيقي " مِن ذكر اللِّسانيّين. ولاسيما الغربيين من أمثال رومان ياكوبسون وتزفيتان تودوروف ورولان بارت. الذين ذكر بعضهم بعضاً وعقّبوا على أقوال بعضهم. في هذا السياق، يجب اعتبار دور اللسانيات في التنظير للغة النقدية الواصفة من جهة صلتها بالخطاب النقدي أساساً. ومن ناحية علاقتها التاريخية مع نظرية الأدب وعلاقتها التعاصُرية مع كلٍّ من نقد النقد والتطبيق النقدي كما ذكرنا. وبعد أن يكون المطبّقون من اللِّسانيين ومِن غيرهم مِمَّن هم في الميدان قد اختبروها فأبدعوا في بعض المفاهيم التي يكونون قد قاربوها لسانياً، ذلك أنّ توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظريّة ومنهجيّة من شأنها أن تكون علما مستقلاً هو المصطلحيّة التي ما فتئ عبد القادر الفاسي الفهري يدعو إليها[18].

## 2 دواعي المقاربة التحاقلية المعرفية

### 1.2 في مفهوم التحاقلية

لقد صيغ مصطلح (التحاقلية) من كلمة (حقل) للدلالة على عملية تجسير الحقول الاختصاصية لمقتضيات ابستمولوجية ما، وهو المقابل الذي اقتُرح عربيا إلى جانب مصطلح (البَيْنِيَّة) لمقابلة المصطلح الغربي (Interdisciplinarity / Interdisciplinarité)[19]. وقد أخذ هذا البديل ينتشر لدواعٍ، فتبنّيناه هنا لأسباب اقتنعنا بها. انطلاقاً مِن هذا التقديم، نرى أنه يمكن دمج شقّيْ (التحاقلية) و(التماهي التخصصي / Identification disciplinaire) في اصطلاح هو (التحاقلية المعرفية)، ولا نقصد من الشقّ الأخير (الاستعرافية / cognitive). مع العلم أنّ باكورة الآراء القائلة بـ" التحاقلية المعرفية " قد ظهرت تتويجاً لما يدعى. من جهة أخرى. بظاهرة (التصاقب والتفاعل والتعارف المعرفي / Transposition disciplinaire): لنا إذن عبرة في امتدادات هذا التفاعل الذي سيؤول. بهذا التحاقل. إلى وجهٍ مِن أوجه " نقد النَّقد ".

ذلك أنّ مِن تفاعل ميدانيْ اللسانيات والنقد الأدبي، يمكن استجلاء إرهاصات المصطلح اللساني النقدي ضمن الكتابات العربية التي رضيت بثقافة البدائل أو بأحكام تغيير الأنساق الفكرية (Paradigmes) بالمفهوم التّابِع لكلٍّ من الأسماء الآتية: أوغست كونت (Auguste Comte)، وتوماس كون (Thomas Kuhn)، وجان بياجي (Jean Piaget)؛ الذين نشَطوا في سبيل إنضاجه وتطويره وتطبيقه، مِن خلال زاوية اختصاص كلٍّ منهم.

وفي هذا السياق، يمكن للمرء أن يتفطَّن إلى أن التحاقلية هذه ذات صلة بعملية ترجمة المفاهيم النقدية ونقلها من بيئتها الغربية نحو البيئة العربية التي قد تتأقلم معها أو تخفق في ذلك. وعليه، فإن لهذه العملية التي تعتبر أيضا عملية ثقافية. إن لم نقل تثاقفية. علاقة وطيدة بالبنية الثقافية واللغوية. وكذلك يبرز مفهوم " المثاقفة " كلما تعقّب علاقاته الأساسية الرابطة بينه وبين كلٍّ من الهوية. من جهة، والثقافة. من جهة ثانية، استدعى الأمر الاحتكام إلى المقاربة المنظومية. إن لم نقل المقاربة التحاقلية، بعيدًا عن الإسقاطات الوهمية. وهو ما يدلّ عليه ارتباط المفهوم بالاستعمار والاستشراق بعد بزوغه في حقل الأنثروبولوجيا، والترجميات والتعليميات اللغوية. وهو ما تشهد عليه أيضا الصفحات التاريخية المضطلعة به. من هنا يجب التساؤل: إلى أي مدى يمكن اعتبار المثاقفة النقدية. كما جاء التمهيد لها أعلاه. مقاربة منظومية في حد ذاتها تتصل رأسا بمفهوم التحاقلية " أولا في معناه الواسع، ثم في معناه المرادف مع " المنظومية ". أي (approche systémique) التي لا تغفل عن الأنساق الثقافية بأية حال ؟ مع العلم أنّ هذه الأخيرة تمثِّل مجموعة القيم المتوارية، أي المختبِئة أو المخبَّأة، خلف النصوص والخطابات والممارسات، وهي أيضاً مجموعة من القناعات والقيم التي يتمسك بها مجتمع ما، والتي تكون مخبّأة وراء النص الأدبي أو الخطاب أو الممارسات اليومية والسلوكات التي نقوم بها، ويتم ذلك غالباً بطريقة آلية أي دون اختبار الوعي النشِط بقدر ما تتوارى وراء الوعي الباطني. ولاسيما القيم المتوارية في النص الأدبي. وهو ما يجعلنا ندعِّم فكرة السيميائي

لوري لوتمان (Youri Mikhailovich Lotman) التي تحيلنا على تعددية الأنساق داخل نسق واحد، وليكن هذا النسق .كما يفترض .نسقاً عاماً. من هنا نتساءل مرة أخرى: ما مدى نجوع تطبيق المقاربة المنظومية في استكشاف خلفيات الأنساق المترابطة فيما بينها ؟ بناءً على الإشكالية السابقة، تهدف الورقة إلى تبيان كيف تندمج المثاقفة النقدية المستجلبة عن مختلف الخطابات النقدية في نظام من التصاقب المعرفي الخطابي (Transposition épistémologique et discursive) ضمن خطاب مشترك من شأنه أن يُسفِر عن مقولات نقدية معيّنة. علما أنّ هذه المقولات تعد ثمرة إسهامات كل ناقد مثاقف .من جهته .في حركة التأسيس الابستمولوجي للمثاقفة النقدية تلك. وكذلك ترمي الورقة إلى إيضاح كيف تشكّلت مقولات المثاقفة النقدية في الخطابات النقدية التحاقلية بشكلٍ واضح ولاسيما في رحاب مجال نقد النقد، الذي يعدّ مقولة نقدية في حدِّ ذاته، وكذلك يجب الاهتمام بمعرفة الكيفية التي تم التنظر له من قبل تزفيتان تودوروف .مثلاً .الذي لا نستبعد أن يكون فكره التنويري قد أثر في مسعاه البيني. تعتمد ورقتنا خلفية منهجية تقوم على مسح خطاب المقولات النقدية المثاقفة ولاسيما تلك التي انكبت على التأسيس لنسقٍ ثقافيٍّ جديد، على غرار: تفاعل الثقافة والأدب، والانسجام الفكري الثقافي، وهيمنة مفهوم " اللغة .الثقافية "، وتغيير نمط التفكير الذي قضى بسيادة الخطاب الحداثي في مظهر الرواية وهيمنة النّموذج الثّقافي. وهو الأمر الذي يتطلّب شكلنة دور المثقف والثقافة المتمثِّل في: التوعية والتثقيف، والمشاركة والإبداع، ومحاكمة الجهل المركَّب، واعتباره فسحة لتجسير واستشراف الثقافة المشرقية .المغاربيّة بوازع الكتابة عن طريق الثقافة وحدها وقدرتها الخلاّقة على الوصل رغم مظاهر الفصل الذي قد يعتريها.

### 2.2 اللسانيات حيال لغوية الأدب ولغوية المصطلح النقدي

مِن المعروف أن القاسم المشترك بين اللسانيات والنقد هو اللغة. والحسّ العقلي يقول إنّ النَّقد وهو يهتم بالأدب، لابدَّ أن يهتمّ باللغة، لأنّ الأدب لغة أولا وقبل كل شيء، بل عرف هذا الإسقاط نهوض تيار هو الشكلانية الروسية وما ترتّب عليها مِن تأسيس المذاهب التي تدور في فلكها. ولما كانت اللسانيات تهتم باللغة مباشرة من دون المرور بكينونة الأدب، ولما نظرت اللسانيات (البنوية) إلى اللغة على أنها شكلٌ وليست مادة. ستقوم .وفق هذه المعادلة المركبة .علاقة تكاملية بين ميدانيْ النَّقد واللّسانيات، بحيث تنعقد هذه علاقة (بين اللسانيات والنقد) أولاً وأساساً .في حدود اهتمامهما (المشترك) باللغة. عند هذه الدرجة الحادّة من تدخُّل اللسانيين في شأن النقد الأدبي، وفي خضمِّ ما يواجه النقاد من مشكلة تكاثر المصطلحات النقدية بصورة تغلب عليها صفة الخروج عن السيطرة، ولاسيما في نطاق نقد النقد الذي يتوجَّه نحو التأسيس للفلسفة النقدية الثقافية؛ فإن الحاجات التطبيقية لم تفارق الممارسات النقدية بل غالباً ما تُسهِم في استكشاف علاقات بين الميادين المعرفية المختلفة، ولاسيما حينما تكون هذه الميادين متوفرة على نصيب من المشتركات إن على صعيد الموضوع وبعض المباحث، أو من خلال تقاسم المنهج وبعض المقاربات، أو .في كثير من الأحيان .تتآلف على الغاية وبعض الأهداف.

من هذا القبيل يغلب على النقاد العرب الخوض في المسائل النقدية ذات العلاقة بالتطبيقات اللسانية على ميدانهم. بيد أنّهم قليلاً ما يجنحون إلى اللِّسانيات للاستبصار وأخذ العبرة مِن نتائجها النظريّة، بل هناك مِنهم مَن يخوض في قضيّة المصطلح عامّةً والمصطلح النقدي على الخصوص، سواء في إطار نقد النقد أم النقد التطبيق أم حتى في ضوء نظرية الأدب، وهم يدَّعون أنّ الإطار الذي يشمل دراساتِهم هو اللِّسانيات ولا يتحرج بعضهم مِن تقمص دور اللساني، لكنهم قليلاً ما يغوصون في مجال التفاعل الحقيقي بين ميدانهم والدرس اللساني الذي يدعون الاستقاء منه. وهذه المشكلة نرى أنها صادرة عن الاتجاه السائد في العالم العربي بالنسبة لتسخير المفاهيم اللسانية في النقد. نعلم الآن أن الذين يمارسون هذا الاستجلاب أو التصاقب أو النقلة المفهومية والمعرفية والإبستيمولوجية هم إما لسانيون أو نقاد. لذلك فإنّ الجمع موزع على طائفتين أو نمطيْن:

انطلاقاً من النمط الأول، حدث استقطاب اللسانيات للنقاد. في هذا السياق، انبرى جمهور من النقاد شرعوا يلتفتون إلى اللسانيات ويلتفون حول درسها متأثرين في ذلك .من جهة .بالتقليد الذي أرسته البلاغة العربية، ومن جهة أخرى بالموضة الغربية التي تسلّلت إلى الثقافة العربية بعمومها، وحاولوا توظيف زاد اللسانيات المعرفي والنظري والمنهجي، كما هو الشأن .مثلاً .بالنسبة لعبد المالك مرتاض

وعبد الحميد بورايو بالنسبة للوضع الجزائري ..الخ. ومن فرط تعاملهم مع المصطلحات اللِّسانيّة صار بعض الدارسين يصنفهم في الخانة اللسانية والحال أنهم كانوا يوظفون المفاهيم اللسانية بمعية المصطلحات اللسانية في المدوّنات التي كانوا يُعملون الاستقراء عليها. لكن هذه الطائفة لم تحمِّل ميدان النقد قلقا فكريا زائداً عن الحد في إطلاقها لتلك المصطلحات اللسانية إذ عرفت كيف تدمجها في النسيج النقدي الأدبي والثقافي. وقد مارس فريقٌ ممن انتسب إلى هذا النمط النقدي اللساني .

في النمط الثاني، وقع اهتمام اللسانيين بالأدب (ياكوبسون / تودوروف / ميخائيل باختين / سعد مصلوح / عبد السلام المسدي / إبراهيم السامرائي / تمام حسان ..). وهذا المسعى ليس بالهيّن ولا يمكِن توصيفه بأنّه بدون جدوى، بل يعدّ من الإرهاصات التي أنذرت بقيام إمكانية العلومية في المجال النقدي؛ لكنّه يفتقِر إلى التكريس الإعلامي الذي يرافق النقاد السطحيين لكونه حبيس الدراسات الأكاديمية في غالب الأحيان. وعلى الرغم من أنّ الاعتقاد السائد يذهب إلى أنّ النّقد في منأى عن الدرس اللساني نظرا لانغلاق هذا الأخير على نفسه وانشغاله بنظامية اللغة ثم بما تطلّبه هذا الانشغال من التأسيس للغة واصفة أخذت تتجلى من دي سوسير كما تنوّه به جوليا كريستيفا (Julia Kristeva)[20]، لكن الاتّجاه العام هو أنّ النّقد اغتنم من اللسانيات غنيمة ثمينة، تتمثّل أساساً في استعارة مقارباتها التي تتصل بالمنهج العلمي. بيد أنه .وفي رأينا، الفريق الأول نجح في هذه العملية أكثر مما أداه الفريق الثاني الذي لم يعز في المهمّة بقدر ما أخذ مسارُه اتجاهاً نرى أنه حاد شيئاً عن مهامه المنوطة به.

لهذا لا ينفكّ هؤلاء يدعون إلى تخصيص دراساتٍ مستقلّة تُعنى بتلك المشكِلات المصطلحيّة الخطيرة وفتح بوابة اللسانيات على مصراعيها حتى فيما يخص معالجة المصطلح النقدي وذلك بحكم انتماء الدراسات المصطلحية مهما يكن ميدان اختصاصها المفاهيمي إلى قطاع اللسانيات التطبيقية. واللاّفِت للانتِباه أنّ الطّائفة الأولى (النقاد المتأثرين باللسانيات) التي لا تتلاهى عن بسط يد المساعدة نحو التجارب المُفعَّلَة الخاصّة بالمصطلح في شتى المجالات، هي المعوَّل عليها في سبيل استِنباط الرَّصيد المَعرِفي المَطلوب فيما يخصّ إعداد الموسوعات المفاهيمية المَنشودة والتي تتصل مباشرة بمجال النقد كممارسة تطبيقية وتنظيرية. غير أنّ بادرة الاهتمام بالوعي *المصطلحي* .ومع هذا الترشيد الذي احتفت به الطائفة الأولى اعتمادا على الحدسية الذاتية .إنما نشأ في أحضان الطّائفة اللسانية كما يدلّ المقتبَس الآتي .وهو أحد نصوص عبد السلام المسدي المتعلِّقة بالخطاب النَّقدي المُمارَس هذه المرّة على الأدب:

« لعلّ أوّل فريضة توجِب نفسَها على المهمومين بالأدب وعلى المُهوَّسين بخطاب النقد هي العمل على أن يتوفّر (الوعي المصطلحي)، هي الكدّ في سبيل أن يوجد هذا الوعي، وأن يحصل، وأن يكون. هي الكدّ في أن يبعثه هؤلاء المهمومون إن كانت بذوره خامِلة نائمة، وفي أن يُنشِئوه إن كان لزاماً أن يزرعوا بذرة ومشاتلة. هي مهمّة (استنشاء) الوعي المصطلحي ثمّ الارتقاء به إلى الإدراك المعرفي في غير ملاطفة لحقيقة اللّغة بالمجاز، وفي غير إذعانٍ لما تواتر وشاع ثم اطَّرد من انزلاقاتٍ ذهنيّة تحرِّف العلمَ عن مسالِكه، ومن متلابسات تتيح لمن خاف صرامة الحكم أن يراوغ بين ظنّ بالتقدير ويقينٍ بالاعتبار. مَن المؤهَّل في ذاته بالحديث عن المصطلح ؟ ومن الأولى في نظر العلم الخالص بمعالجة قضاياه التأسيسيّة ؟ »[21].

فطبيعة هذه الأسئلة التي لا يتردّد المسدي في أن يسألها في كلّ مناسبة، هي التي دفعتنا إلى عدِّه مِن أهل الطّائفة الثالِثة. ثمّ نلاحِظ كيف ربط ذلك الوعي بالمعالجات المصطلحيّة التي لا تأنف العمَلَ داخل اللّغة وعن اللّغة مهما يكن المجال: لسانيات أو أدب أو غيرهما. علماً أنّ المَسدي هو مِن بين المتحمّسين *لـ"النّقد الألسني* المُمارَس على الأدب كما يسمّيه[22].

ومُفاعِل اللسانيات يفرّع المزيد من النظريات والنماذج، كما يسعه تفريع العديد من المناهج والمقاربات، وبمقتضى عنايتها بالشكل بالدرجة الأولى، فإنها تدفع بالنقاد إلى التركيز على اللغة أكثير من تركيزهم على العالم الخارجي. لا ننسى أن المرجعية اللسانية تخدم النسقية أكثر من السياقية، وذلك في ضوء دراسة الكل المتماسك، وتقديمها العلاقات والخلافات والقيّم الصورية والدلالية والخطابية والنصية والأسلوبية على العالم الخارجي، وباسم عنايتها بالبنية. « وتعد مساهمة الدكتور صلاح فضل من المساهمات النقدية العربية المتميزة في ميدان إثراء وتعميق المصطلح الأسلوبي والسردي والدلالي »[23]. ولكن .مع هذا الإمعان في التخصص الذي أخذ شرعيته من

الدرس اللساني، فإن لغة النقد لا تستبعد الحيوية والبساطة عن طريقها بل كثيراً ما نجد معجمها يتشكل من اللغة اليومية التي استتب لها الأمر في كثير من العلوم. وهذا الاتجاه يعاكس ويخالف نسبياً ما سبق أن ذهب إليه غاستون باشلار في نزعته الابستمولوجية التي يتحدث انطلاقاً منها عن تعالي اللغة العليمة لكن باستعمال دائما مفهوم هيمنة اللغة اليومية التي تنم عن تلك الحيوية والطواعية والقابلية للتعديل والإدماج. ويدعم هذا النزعة، اقتران التأمل النقدي بالتفكير الفلسفي بل حتى بالمنطق الذي. إذا اتبعنا قراءة ميشال فوكو. كما النحو هما فن التفكير وفق البرنامج الذي سطره كل من أرنو (Arnaud) وزميله في التأليف العلمي نيكول (Nicole)[24]. ثم « إنّ لغة الحياة العامة في جميع الأقطار والبيئات العربية، على الامتداد الجغرافي، وبالعمق التاريخي، هي لغة حية ونامية ومتميزة ومستمرة استمرار الحياة نفسها، وهي في الوقت نفسه، سريعة التأثر بالأحداث والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية »[25].

### 3 أبعاد ارتباط المصطلح النقدي بالمناهج النقدية

لقد صاغت المصطلحات اللسانية مقولات شكلية أهّلتها لكي تنتظم الأعمال النقدية في دائرتها مما ولد قناعة حثيثة تنصب في عدم اعتبار المنهج النقدي مجرَّد أدوات إجرائية، بل هو رؤية وتصور عن العالم والوجود والتاريخ والإنسان. وعليه، فإنه يشكل معضلة في سياق نقل المفاهيم النقدية من الثقافة الغربية. ذلك أن مسار النقل هذا يقتضي. أولا وبالضرورة. تعرية المصطلحات النقدية الغربية من الخبايا الدفينة فيها، وذلك بتعريفها، والتصرُّف فيها، وتكييفها لمقتضيات الثقافة العربية الراهنة بعد تمثّل أبعادها الفكرية بصفة خاصة؛ لهذا يرى خلدون الشمعة. مثلا. أنّه يتعذّر الكلام على سيرورة نقل المصطلح الغربي إلى اللّغة العربيّة دون الوقوف عندها وعند أهم إشكالياتها[26]. هذا، مع أن وجوب الاعتداد بمنهج معين في النقد الأدبي نابع من الإيمان بأن « كافة الظواهر الأدبية يمكن أن تخضع للقوانين العلمية »[27]، فإن المنهج يعتمد على جانبين مترابطين، تتحد بحكمهما خصائصه وتتضح اتجاهاته وتنجلي أبعاده وتتبيّن أهدافه:

أولها. وهو ما يستجيب لهذه القاعدة. أنه ظاهرة يمكن مشاهدتها والتحقق منها بالفهم المباشر، أي أنها أداة إجرائية وعُدة مفاهيمية يستخدمها الناقد لتحقيق أهدافه. والمظهر الثاني، أنه يستعصي عن الاحتكاك المباشر، لكونه يعتبر. علاوة على ذلك. وجهة نظر، وأساساً لضرب من المعرفة التي تحيل على مرجعية ثقافية معينة شديد الارتباط بها، وبالتالي لا يمكن الحديث عن حيادية المصطلح الذي يشتغل في إطار منهج هو من هذا النوع التابع لخلفيات معرفية يمكن تتبع آثارها واستكشافها. ويشكل هذا الأخير شرطا ضروريا قبل العمد إلى تنزيل المصطلح على الثقافة العربية: فليس ثمَّةَ تنزيلٌ معرفيٌّ من دون شوائب ثقافية عالقة بنتيجة التنزيل، فكل نقل معرفي هو تنزيل ثقافي بأي شكل من الأشكال (Transposition culturelle). بحسب رأي عبد الواحد لؤلؤة فإن للأزمة صلة باللغة من ناحية أن بعض اللغات تملك موارد تاريخية وثقافية بشكل أفضل من غيرها، وهو وضع اللغات الأوربية، كما يشرح ذلك في هذا المقتبَس:

« ولا أحسب أنّ ثمة " أزمة " أو " فوضى " في استعمال المصطلح النقدي في اللغات الأوربية التي ينقل عنها كَتَبَةُ الدراسات النقدية العرب، أو قل ليس ثمة فوضى على القدر الذي نحن فيه. والسبب في ذلك أنّ اللغات الأوربية تصدر عن جذور لاتينية، أو إغريقية اتخذت صيغا لاتينية في الغالب، كما نجد في ما تفرّع عن اللاتينية من إيطالية وفرنسية وإسبانية؛ وفي حالة اللغة الإنجليزية تختلط الجذور الجرمانية بالجذور اللاتينية، لكن المؤثرات الأخيرة أظهر في الكتابات الأدبية، وهنا تقترب الإنجليزية من الفرنسية من حيث الارتباط بالجذر اللاتيني في المفردة أو المصطلح. ومن هنا نجد المصطلح النقدي أو تسمية الجنس الأدبي في الفرنسية يقترب كثيراً من نظيره في الإنجليزية، وقد يتطابق أحياناً مع فارق بسيط في رسم المفردة أو نطقها »[28].

### 4 أبعاد ارتباط المصطلح النقدي اللساني بالنظريات النقدية

لا ننسى أن التفكير في شأن المنهج والإلحاح على ضرورته إنما كان بهدف تخليص النقد الأدبي من نزعته الميتافيزيقية، ولغته الصحافية الخاضعة للتمييع، وأحكامه التذوقية: الشيء الذي دفع الدارسين، خصوصا في القرن العشرين، إلى الاستعانة بالعلوم الإنسانية، والإفادة منها أيما إفادة، ولما كانت « المصطلحات هي وحدات معجمية ينظر إلى معناها ضمن إطار مجال تخصص »[29]، أصبحت تلك المجالات التي تستقي منها الممارسات النقدية زادها النظري جزءاً من هذه الممارسات التي تتجلى بشكل آخر على مستوى

الخطاب النقدي الذي يشمل مباحث هي من إلهام " نقد النقد " وممارساته. بل انقسمت بذلك نظرة الدارسين إلى الأثر الأدبي، وتعددت بتعدد المشارب الفكرية والفلسفية والأيديولوجية: فاستدعى الأمر العمل على إشباع النقد الأدبي بالتنظير وهو ما أثر على المصطلح النقدي.

تتأسّس النظريات النقدية ضمن ميادين موضوعاتية محددة، ذلك أن الممارسات النقدية التي لا تعدو أن تكون بمثابة بحوث تطبيقية تستند إلى نظريات ذات جذور وامتدادات وثيقة الصلة بطبيعة الموضوعات التي تعالجها تلك البحوث ضمن سياقات ثقافية معيّنة أيضا. ومن المعلوم أن « كل بحث لا بد أن يضبِط مجاله الذي يدور فيه والمفاهيم العاملة التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقعه من الاختصاصات المتنوعة المتداخلة، ويتمكن المتقبّل من مفاتيح ولوجه القائمة على تلك المفاهيم. وهذه ضرورة ابستمولوجية »[30]، أي ضرورة معرفية علمية منهجية نظرية في حدِّ ذاتها لا يمكن الاستغناء عنها. وأهم القضايا التي يجب علينا ألا نغفل عنها، هي قضية اعتبار المناهج النقدية إما محصلة إنسانية عامة بحيث تشمل كل الآداب الغربية والعربية وثقافاتها أم أنها خاصة بثقافة دون أخرى[31]. وإذا كانت المناهج النقدية عبارة عن محصلة إنسانية بغض النظر عن العامل الثقافي والجغرافي والاجتماعي، فهذا يرجع إلى ارتباطها بنوع من معرفة هي في متناول الفكر البشري مهما يكن انتماؤه الثقافي، فالأمر أشبه بالمعرفة العلمية المحضة. أما إذا كانت المناهج النقدية حصيلة ثقافات خاصة دون غيرها، فإن هذا لا يبرر وجوب التعامل مع مصطلح نقدي غربي بمدونة عربية متشبعة بالتراث العربي الأصيل وبالطريقة التي يشتغل بها على أخرى غربية.

ولا يزال الطالب الجامعي العربي .فيما يطرحه النقاد العرب .يتعاملون مع المفاهيم والمصطلحات التي أنتجها الفكر الغربي ويعالجون الموضوعات التي تنتمي إلى بيئة هذا الأخير وإلى الحقل الثقافي الذي أسس له المفكرون الغربيون، سواء على صعيد أسئلتهم الفكرية، أو على صعيد نوع الإجابات التي قدموها. وبكلمة كما أورد عبد الإله بلقزيز أحد المفكرين والمثقفين المغاربة: « لا نزال بفكرنا داخل إشكاليتهم »[32].

ويجد التنويه في هذا المقام بعامل التمييز والتميز الثقافي. ذلك أن المقومات الفكرية والأسس الفلسفية وأشكال التطور التي خضعت لها الحضارة العربية ليست هي نفسها في نظيرتها الغربية، حيث لكل دائرة خصوصيتها المحلية. وعليه، فالمصطلح لا يركب تركيبا اعتباطيا أو يأتي من الخارج، وإنما ينبثق من رحم المنابع الأصلية لهذه الثقافة أو تلك، وفضائها المعرفي[33]. فالحذر ضروري إذن أمام تراكم المناهج النقدية الغربية من جهة، وكثافة المصطلحات من جهة أخرى، ذلك أن المصطلح يكون بطريقة أو بأخرى معبأً إيديولوجيا أكثر من أنه يحمل توجها علميا صارما، هو مبتغى أي ناقد موضوعي في مقاربته النصية. وذلك في محتواه المعرفي وأبعاده الإيديولوجية أحيانا، كما في العديد من المفاهيم التي اقترنت بالحداثة من جهة وبما بعد الحداثة من جانب آخر، على غرار الأدب النسوي والأدب الكلونيالي والمثاقفة والبنوية والتفكيكية.

وإذا جئنا إلى النقد أنجزنا بصفة طبيعية التحول الكيفي من مجال الخلق الفني إلى مجال إحكامه بأدواتٍ ذهنيةٍ هدفنا بها السيطرة على الظاهرة بواسطة العقل، فالنقد معرفة، وهو معرفة من طبيعة خاصة: إذا نظرنا إليه من زاوية الفن قلت إنه علم القول الفني، ولا يغيّر ذلك شيئاً من أنه علم للأدب لا ينازعه أحد في أن يكون له من اللغة جهازه الاصطلاحي. غير أنّ الصعوبة التي تبرز حينئذ هي أننا في النقد نتحدّث باللغة عن اللغة فنقيم خطاباً انطلاقاً من النظر في خصائص خطاب آخر، في حين أننا عندما نتحدّث عن سائر أصناف الفنون الإبداعية الأخرى نستعمل الأداة اللغوية التي هي مختلفة في طينتها عن أدوات الإبداع التي نواجهها، فمادة الرسم والنحت والألحان من جوهر آخر غير البنية اللغوية وهذا مما غدا اليوم فائضاً في القول. وإذا كان كلُّ مصطلحٍ علامةً، وكانت كلُّ علامة بمثابة الرمز .إذ هي شاهد على غائب .فإن ذلك هو الذي يعلِّل »[34].

### 5 تبعات اعتماد المصطلح اللساني

يوضِّح جوناتان كولر في سياق حديث عن موضوع اللغة والفكر، كيف أن الشفرة اللغوية هي نظرية للعالم[35]. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ المصطلح النقدي أصبح من التعقيد والتركيب بحيث لا يتيسر لكثير من المتلقّين أن يستوعبوه إلا إذا أخضع للخطاب التبسيطي ذي المنحى المزدوج: الإعلامي والتعليمي، لتكييف طابعه العلمي الذي تفرضه الدقة النظرية والصّرامَة المنهجية. ومن الواضح أن هذا العمل الشمولي يقتضي الصنيع التجزيئي الذي يطال أهم شيء في الموضوع وهو اللّغة ويفيد غيرَه مِن الباحِثين والممارِسين والمتعامِلين باللّغة مباشرةً، ويستهويهم على نواحٍ مختلِفة ويُستهدَف قراءةً ودراسةً؛ فبدلاً من ذلك صار البحث اللِّساني خطاباً في خطاب الخطاب أي لغة مقابلات تفسِّر اللّغة (العلم) التي تتناول اللّغة كموضوع إلى أن صارت المدوّنات اللِّسانيّة مسرحاً للتطبيق المصطلحي. وقد أجاز عبد السلام المسدّي هذا التأمّل الذّاتي الدّاخلي وحلاّه صلاحيّة[36]. لهذا فلنختبر هذا النوع مِن التأمّل لكي نرى ما إذا كان بإمكانه أن يرقى إلى نوعٍ من النقد الذاتي أو على الأقلّ إلى مظهر من مظاهِره. لاحِظ انشطار مهمّة عبد الصبور شاهين وتوزّع مواقِفه بين تقديم المفاهيم وتحليلها والتصريح بالتأمّل في المصطلحات التي وُظِّفت بادئ الأمر في اللّغة المصدر وتعقّب الحال التي آلت إليها في اللّغة الهدف أو إقرار ما ينبغي أن تؤول إليه؛ دونك هذا المقتبَس المثال، وهو عيّنة من عشرات النصوص العربيّة المنصبَّة في هذا النوع مِن التأمّل:

« هناك مصطلحات يجب فهمها قبل معالجة الأفكار الأساسية في هذا الموضوع، وأول المصطلحات كلمة (*Phone*) وتعني حين تستخدم في علم اللغة (الصوت المفرد)، أي: الصوت اللغوي البسيط الذي يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل، وقد يستخدم في نفس المعنى كلمة (*Son*)، ولكن الأولى هي المشهورة: ثم يتولد عن هذا المصطلح مصطلح آخر هو (*Phonème*)، ويقصد به (الوحدة الصوتية) على مستوى التشكيل أو التنظيم الأدائي، ولقد تقوم هذه الوحدة على صوت واحد (*Phone*)، وقد يدخل تحتها مجموعة من الأصوات أو الأعضاء، التي يطلق عليها أيضا: (*Allophone*) ومعناه: صوت آخر، إشارة إلى وجود هذا الصوت الآخر إلى جانب غيره داخل الفونيم. فالفونيم إذن مصطلح فونولوجي، تدور حوله بحوث كثيرة، وربما كان من أعقد ما واجه العلماء من مصطلحات، عندما أرادوا تحديد مفهومه، على الرغم من أن ترجمته إلى العربية واضحة، وتأتي الصعوبة عندما يراد تفسير الأساس الذي تقوم عليه هذه الوحدة الصوتية: أهو أساس عضوي ؟ أم نطقي ؟ »[37].

وبإمكان الدّارِس المصطلحيّ أن يُلاحِظَ بعد إيراد هذا النصّ المقتبَس مِن طيات كتابٍ خاصٍّ باللِّسانيات كيف ينتشر التحليل فيه، وهو يتناول مفهوماً يندرج مباشرةً في منظومة المفاهيم اللِّسانيّة، ويُطبَّق على شبكة من المصطلحات المتشابِكة والمتغايِرة التي حشدها صاحِبُ الكتاب الأصلي. ويحدث ذلك كلُّه بمعيّة المصطلح المحوري الذي يتمّ تقديمه بهذه الكيفيّة التي لا تخرج عن التأمّل الصريح ذي الخطوط العصريّة، والذي لا يُعدّ غريباً على الدّرس اللِّساني العربيّ ولا سمةً خاصّة به، إذ هو متأصِّلٌ فيه وممتدٌّ إلى الدرس اللّساني الغربي أو وافِدٌ من هذا الأخير، فلا موالاة أحدهما للآخر هنا ولا مناهضة كاملة.

مِن هنا يُسارِع النقاد العرب إلى الاحتفاء بأي مفهوم تبدو عليه هيئة الغرابة وسيماء الخروج عن المألوف. في الحقيقة الغرابة كما فسرها فريدريك نيتشه متأتية عن الخوف من العدَم الذي هو وجهٌ آخر لغياب الهدف[38]. لذلك وتفاديا لأزمات الفراغ وهذا العدم، وعلى الرغم مما أنتجه هذا الوضع من أنماط وأساليب جديدة على صعيد نقد النقد والنقد التطبيقي تبدو غريبة، وما أعقبه مِن تعدّد المرجعيّات اللغويّة للمصطلح ما بين المغرب والمشرق؛ فإنها تبقى. مع ذلك. اجتهادات ستقوم عليه نماذج جديدة من الوصف والتفسير والنمذجة التي يحتاج إليها قطاع التعليم.

**خاتمة**

إن الأدب الذي يعنى به النقد يحيل إلى أشياء العالم غير المتناهية، بلغة تتيح لها الإبداعية قدراً كبيراً من التوسع والاتساع، وعليه، فإن اللغة النقدية التي تتابع أخبار هذه اللغة الإبداعية، لابد أنها تحيل إلى سلسلة من المفاهيم التي هي الأخرى تحيل على عالمٍ قيميٍّ غير مغلق على نفسه. لهذا يستعين النقد بعلوم شتى من أجل التزوُّد منهجياً ونظرياً، وتشكل اللسانيات أحد المجالات التي يستعين بدرسها. المشكلة الأساسية التي وقفنا عندها إزاء المصطلحات اللسانية المتولِّدة عن هذه الرابطة المكرِّسَة، هو أن المفاهيم التي تُحيل عليها

ذات مصادر غربية في نسبتها الكبيرة، لكن في وصفها للظواهر الأدبية والنقدية التي تقاربها منهجيا وتطبيقيا، تتجلى في مزاجها العربي. ويمكن تسويغ هذه الازدواجية الانفصامية، بظاهرة الهجرة المصطلحية التي تُشكِّل أحد ملامح إشكاليات المصطلح النقدي العربي، لكونها ذات فضل كبير على ما يقوم عليه هذا الأخير من التبعية لأنساقٍ ذات إحداثياتٍ تقديرية أشمل، يأتي على رأسها مجال اللسانيات، التي طالما تسهِم .لغويا وتخصصيا وثقافيا ومرجعيا وحضاريا . في إفراز هذا الضرب من المصطلح (النقدي) وتلهم النقاد في التأسيس لنظرية المصطلح النقدي . بعدما استلهمت عددا كبيرا من الباحثين من شتى مجالات البحث العلمي، والذين استأثرت باهتماماتهم . واستقطبت ثقافتهم النقدية التي أثرت على تلكم اللسانيات في حد ذاتها، علاوة على النظر في كيفية اشتغال تلك المصطلحات. والتفاعل الطبيعي بين الفروع المعرفية لا ينتج عنه سوى الإثراء المتبادل، ثم التماس الكثير من القيود التعريفية التي ينطوي عليها المصطلح النقدي في حدود المرجعية الثقافية للمفهوم الذي يؤسس له، هو أمر طبيعي ومشروع. ومع مراعاة هذه الزاوية، يمكن ذكر ما يكتسبه المصطلح النقدي من قيمة منهجية بوساطة مواكبة ما يستجد على الثقافة العربية من المفاهيم النقدية الدخيلة عبر بوابة الترجمة. وهو العامِل الذي يسوّغ التحديث، وباسم التحيين يعمد معظم النقاد إلى صك مصطلحات جديدة في إطار التوليد المصطلحي الصوري والدلالي، وبضربٍ مِن طفرةٍ متواتِرة؛ غير أنها كثيرا ما تشوبها الريبة لغرابتها وغموضها وتضاربها وابتعادها عن التأقلم والطواعية والانسجام مع المكاسب القيمية المسبقة (تثمين التراث والاستثمار فيه، لكن بشيء من النزعة التقديسية المتشدِّدة عملا بذهنية الثوابت الراسخة !).

## قائمة المراجع

### ✓ بالعربية /


1. **ابن منظور** (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، 2008.
2. **بعيو** (نورة)، المنهج النقدي بين الصرامة العلمية والحمولة الإيديولوجية، مقاليد، م.1 /ع.2، مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، ديسمبر 2012، (ص.225. 231).
3. **بلقزيز** (عبد الله)، إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
4. **بوعزيز** (وحيد)، يؤس النظرية: مساءلات في الدراسات الثقافية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2023.
5. **بوعيطة** (سعيد)، المصطلح النقدي العربي بين واقع التعدد وآفاق التوحد، المعرفة، ع.669، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، يونيو 2019، (ص.82. 98).
6. **تامر** (فاضل)،
7. إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الحديث، نزوى، ع.06، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط (سُلطنة عمّان)، أبريل 1996، (ص.129. 133).
8. المصطلح النقدي بوصفه تعبيراً عن الوعي المنهجي في الخطاب النقدي العربي الحديث، ثقافات، ع.03، كلية الآداب، جامعة البحرين، يوليو 2002، (ص.43. 52).
9. **حسن** (عبد الكريم) **وبن عمو** (سميرة)، على هامش الطبعة الأولى، ضمن مورفولوجيا القصة (فلاديمير بروب)، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.
10. **درويش** (عبد الكريم)، أضواء على المصطلح النقدي العربي، الكرمل، ع.60، يوليو 1999، (ص.200. 210).
11. **راغب** (نبيل)، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر .لونجمان (سلسلة أدبيات)، الجيزة (مصر)، 2003.
12. **الزناد** (الأزهر)، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت .الدار البيضاء، 1993.
13. **شاهين** (عبد الصّبور)، في علم اللّغة العام، ط.4، مؤسّسة الرّسالة، دمشق، 1984.

14. **الشمعة** (خلدون)، إشكاليّة المصطلح في النّقد العربي الحديث، الفكر العربي المعاصر، ع.01، الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، 1978، (ص.98.109).
15. عصفور حي أم نسر محشو بالقش: إشكاليات المثاقفة الثلاث (النظرية والسياق والمصطلح)، الجديد، ع.03 (المستبدون والظلاميون)، مركز النشر العربي، لندن، أفريل 2015، (ص.12.15).
16. **الفاسي الفهري** (عبد القادر)، المصطلح اللّسانيّ، اللّسان العربيّ، ع.23، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1983.
17. **الفيومي** (أحمد بن محمد بن علي)، المصباح المنير في شرح الغريب الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، 2016.
18. **القاسمي** (علي)، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط.2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2019.
19. **كولر** (جوناتان)، النظرية الأدبية: مدخل قصير جدا، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، دار ميم للنشر، الجزائر، 2016.
20. **لؤلؤة** (عبد الواحد)،
21. موسوعة المصطلح النقدي: انجليزي . عربي (عن مجموعة مؤلفين بالإنجليزية)، م.1 (المأساة والجمالية والرومانسية والمجاز الذهني)، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983 [ 1969 ].
22. أزمة المصطلح النقدي: تجربة شخصية، علامات في النقد، ج.8 / م.2، النادي الأدبي الثقافي، جدة، يونيو 1993، (ص.161 . 176).
23. **لوم** (ماري . كلود)، علم المصطلح: مبادئ وتقنيات، ترجمة ريما بركة ومراجعة بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012.
24. **ليفي ستروس** (كلود)، الإناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . بيروت، 1995.
25. **المسدي** (عبد السلام)،
26. المصطلح النَّقدي، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1994.
27. الأدب وخطاب النقد، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي (ليبيا)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.
28. المصطلح النقدي وآليات صياغته، علامات في النقد، ج.08 / م.02، النّادي الثّقافي، جدّة (المملكة العربيّة السّعوديّة)، يونيو 1993، (ص.83.109).
29. **مطلوب** (أحمد)، المصطلح النقدي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ع.04، ديسمبر 1987، (ص.100.123).
30. **نيتشه** (فريدريك)، إرادة القوّة: محاولة لقلب كلّ القيّم، ترجمة وتقديم محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011.
31. **هيبوليت** (جان)، اللغة لطبيعية واللغات العلمية، ضمن اللغة (إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي)، ط.4، دار توبقال (سلسلة دفاتر فلسفية / نصوص مختارة رقم 5)، الدر البيضاء (المغرب)، 2005، (ص.54.55).

✓ **باللغة الفرنسية /**

1. **Foucault** (Michel), La Grammaire générale de Port-Royal, Langages, n°7 (Linguistique française. Théories grammaticales), Ed. Didier-Larousse, Paris, 1967, (p.07-15).
2. **François-Denève** (Corinne), Roland Barthes : mythologies, Ed. Bréal, Paris, 2002.
3. **Hyppolite** (Jean), Langage et être ; Langage et pensée, Le Langage, Ed. Baconnière Neuchatel, 1967, (p.53-54).
4. **Kristeva** (Julia), Du sujet en linguistique, Langages, n°24 (Épistémologie de la linguistique [Hommage à E. Benveniste]), CNL, Ed. Larousse/Armand Colin, Paris, 1971, (p.107-126).

**هوامِش ومرجِع**

[1] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر .لونجمان (سلسلة أدبيات)، الجيزة (مصر)، 2003، ص.437.

[2] المرجِع نفسه، ص.437.

[3] أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في شرح الغريب الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، 2016، مادة طرد / ص.140.

[4] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، 2008، مادة طرد / ص.140.

[5] سعيد بوعيطة، المصطلح النقدي العربي بين واقع التعدد وآفاق التوحد، المعرفة، ع.669، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، يونيو 2019، (ص.82.98)، ص.89.

[6] جان هيبوليت، اللغة لطبيعية واللغات العلمية، ضمن اللغة (إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي)، ط.4، دار توبقال (سلسلة دفاتر فلسفية / نصوص مختارة رقم 5)، الدر البيضاء (المغرب)، 2005، (ص.54.55)، ص.54. إحالة على: Jean Hyppolite, Langage et être ; Langage et pensée, Le Langage, Ed. Baconnière Neuchatel, 1967, (p.53-54).

[7] أحمد مطلوب، المصطلح النقدي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ع.04، ديسمبر 1987، (ص.100.123)، ص.123.

[8] المرجع نفسه، ص.120.

[9] عبد الكريم درويش، أضواء على المصطلح النقدي العربي، الكرمل، ع.60، يوليو 1999، (ص.200.210)، ص.210.

[10] فاضل تامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الحديث، نزوى، ع.06، مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط (سُلطنة عمّان)، أبريل 1996، (ص.129.133)، ص.129.

[11] Corinne François-Denève, Roland Barthes : mythologies, Ed. Bréal, Paris, 2002, p.117-118. Citant: René Pommier, Roland Barthes *Ras le bol !*, 1987, p.25.

[12] يعني مصطلح (الإناسة) ما اشتهر باللّغة الفرنسيّة تحت تسمية (Anthropologie)، وقد ورد استعماله عند حسن قبيسي مترجم كتاب (Anthropologie structurale)، لعلّه اعتمد هو وكلّ مَن تبنّاه علاقة هذا المصطلح بالقيد التعريفي: (العلم المعني بالإنسان) وهو كما نلاحِظ ورد فيه استعمال كلمة (إنسان) من حيث فرِّعت تسمية (الإناسة)؛ ينظَر: كلود ليفي ستروس، الإناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .بيروت، 1995.

[13] C. François-Denève, Op. cit., p.189.

[14] عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي: إنجليزي . عربي (عن مجموعة مؤلفين بالإنجليزية)، م.1 (المأساة والجمالية والرومانسية والمجاز الذهني)، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983 [ 1969 ]، ص.07.08.

[15] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي وآليات صياغته، علامات في النقد، ج.08 / م.02، النّادي الثّقافي، جدّة (المملكة العربيّة السّعوديّة)، يونيو 1993، (ص.83.109)، ص.59.

[16] عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، على هامش الطبعة الأولى، ضمن مورفولوجيا القصة (فلاديمير بروب)، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص.08.

[17] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي وآليات صياغته ...، ص.61.

[18] عبد القادر الفاسي الفهري، المصطلح اللّسانيّ، اللّسان العربيّ، ع.23، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1983، ص140.141.

[19] ينظر ممن استعمله على سبيل المثال: وحيد بوعزيز، بؤس النظرية: مساءلات في الدراسات الثقافية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2023، ص.43.

[20] يُنظر: Julia Kristeva, Du sujet en linguistique, Langages, n°24 (Épistémologie de la linguistique [Hommage à E. Benveniste]), CNL, Ed. Larousse/Armand Colin, Paris, 1971, (p.107-126), p.114.

[21] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي (ليبيا)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص.77.

[22] عبد السلام المسدي، المصطلح النَّقدي، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1994.

[23] فاضل تامر، المصطلح النقدي بوصفه تعبيراً عن الوعي المنهجي في الخطاب النقدي العربي الحديث، ثقافات، ع.03، كلية الآداب، جامعة البحرين، يوليو 2002، (ص.43. 52)، ص.49.

[24] يُنظر: Michel Foucault, La Grammaire générale de Port-Royal, Langages, n°7 (Linguistique française. Théories grammaticales), Ed. Didier-Larousse, Paris, 1967, (p.07-15), p.07.

[25] علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط.2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2019، ص.124.

[26] ينظر: خلدون الشمعة، إشكاليّة المصطلح في النّقد العربي الحديث، الفكر العربي المعاصر، ع.01، الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، 1978، (ص.98 ـ 109)، ص.98. كذلك: عصفور حي أم نسر محشو بالقش: إشكاليات المثاقفة الثلاث (النظرية والسياق والمصطلح)، الجديد، ع.03 (المستبدون والظلاميون)، مركز النشر العربي، لندن، أفريل 2015، (ص.12 ـ 15)، ص.13.

[27] المرجع نفسه، ص.13.

[28] عبد الواحد لؤلؤة، أزمة المصطلح النقدي: تجربة شخصية، علامات في النقد، ج.8 / م.2، النادي الأدبي الثقافي، جدة، يونيو 1993، (ص.161. 176)، ص.162.

[29] ماري .كلود لوم، علم المصطلح: مبادئ وتقنيات، ترجمة ريما بركة ومراجعة بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص.42.

[30] الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت .الدار البيضاء، 1993، ص.11.

[31] ينظر: نورة بعيو، المنهج النقدي بين الصرامة العلمية والحمولة الإيديولوجية، مقاليد، م.1 /ع.2، مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، ديسمبر 2012، (ص.225. 231)، ص.230.

[32] ينظر: عبد الله بلقزيز، إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص.54.

[33] ينظر: نورة بعيو، المنهج النقدي بين الصرامة العلمية والحمولة الإيديولوجية ...، ص.230.

[34] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي وآليات صياغته ...، ص.61.

[35] ينظر: جوناتان كولر، النظرية الأدبية: مدخل قصير جدا، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، دار ميم للنشر، الجزائر، 2016، ص.93.

[36] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ...، ص144. 145.

[37] عبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العام، ط.4، مؤسّسة الرّسالة، دمشق، 1984، ص115.

[38] فريدريك نيتشه، إرادة القوّة: محاولة لقلب كلّ القيّم، ترجمة وتقديم محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص.13.